ابتكارات العلامة الزمخشري في علم البيان

(خلال أسلوب السؤال والجواب في تفسيره الكشاف)

Contributions of Allama Al-Zimakhshri in the knowledge Eleoquence in light of Tafser-ul-Kashaf

الدكتور حبيب الله خان[i] عبد الوهاب جان[ii]

Abstract

The Knowledge of Eloquence (علم البيان) is an interesting branch of Rhetoric; it is the mental process of cognition which assists a speaker to create appropriate style of speech according to circumstances. It is the most important chapter of Trope (المجاز). The Trope has been divided into two kinds; Linguistic Trope and Mental Trope. The Great Scholar and Literary Theorist Abd Al-Qahir Al-Jurjani has named the upper mentioned last kind as "the Equivalent Trope" (المجاز الحكمى) . Al-Zamakhshari was much influenced by The Great Scholar and Literary Theorist Abd Al-Qahir Al-Jurjani since he implemented whatever Abd Al-Qahir Al-Jurjani pointed out in his book "Arguments of Miracles" and he has also added some new aspect of Rhetoric in his exegesis Al-Kashshaf.

In this article, I shed light on the additional work of Al-Zamakhshariin the particular area of Trope and I widely discussed the unique and distinguished rhetorical inventions of Al-Zamakhshariin The Knowledge of Eloquence and its branches, including Mental Trope, and Metaphor. I have discussed the new terminology of Al-Zamakhshari which is called the "Trope in the metonymy". He was in dire need of creation of this terminology because of his Itezali(اعتزالى) thought. He analyzed the Quranic verses rationally in the shadow of this terminology.

At end of this article i have made efforts to derive the best possible findings for the readers of Quranic Rhetoric.

***Key Words**: eloquence ,cognition, rhetoric*

---

i محاضر في كلية اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد– باكستان

ii محاضر في كلية أصول الدين (قسم العقيدة والفلسفة) بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد– باكستان

ترجمة العلامة الزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله، لُقّب بذلك لجواره لمكة المكرمة[1].ولد الزمخشري بزمخشر وهى قرية من قرى خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب عام سبع وستين وأربعمائة (467هـ).

نشأة العلامة الزمخشري

نشأ العلامة الزمخشري في أسرة ذات تقوى لا تخالف في أمر الدين وقد اشتهرت بذلك حتى عرفت به وقد كان والده تقيا برا صالحا قواما صواما وكان ذا خلق فاضل [2].

رحلاته في طلب العلم وشيوخه

رحل العلامة الزمخشري لطلب العلم بعد أن خاب أمله ببلده؛ لأنه ما وجد عالما كبيرا، فذهب إلى خراسان، وفى خراسان مدح بها جماعة من أصحاب الصولة والدولة، ومنهم مجير الدولة أبو الفتح على بن حسين الأزدستانى، ورحل إلى بغداد، فسمع الحديث من أبى الخطاب بن البطر، وأبي السعيد الشقاني، وشيخ الإسلام أبى المنصور الحارثى، واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغاني، ورحل إلى مكة، وقرأ فيها كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابري المتوفى سنة 518هـ، وهذا هو جواره الأول لمكة، حرسها الله – تعالى– حيث لقي ترحيباً وتكريماً من أميرها العلوي علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس، وكان شريفاً جليلاً هماماً من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، ذا فضل عزيز، وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة[3].

ومن مشائخه في اللغة والنحو والآداب أبومُضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني المتوفى سنة 507هـ، وهذا هو الأستاذ الذي يقول عنه ياقوت الحموي: "كان يلقب بفريد العصر، ووحيد الدهر في علم اللغة والنحو، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدّة، فانتقع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه، وأخذوا عنه علماً كثيراً وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة، ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه، ومنهم أبو القاسم الزمخشري"[4].

جهوده العلمية

ذكر المترجمون أن للعلامة الزمخشري خمسين مؤلفاً في فنون شتى، ومن بينها: التفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والترجمة والفقه والحكم والأمثال العربية والزهد والجغرافيا وغير ذلك من الفنون [5].

قال عنه ياقوت الحموي:

"أبو القاسم الزمخشري جار الله كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفنِّنا في علوم شتى" [6].

وقال عنه ابن خلكان:

"أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه"[7].

ومن أهم مؤلفاته: الأول: تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، قام بتأليفه حينما جاور مكة المكرمة ثانيا، وهو التفسير الذي بسببه طارت شهرته في الآفاق، وقد ألفه بيانا لإعجاز القرآن الكريم والثاني:"الفائق في غريب الحديث" وهو كتاب كما يبدو من اسمه في غريب الحديث، وقد رتبه بترتيب حروف المعجم بدءاً من الهمزة إلى الياء، الثالث: "الرائض في الفرائض" في الفقه، والرابع: "المنهاج في الأصول" في أصول الفقه،وفي علم الجغرافيا ألف المعجم الجغرافي الذي سماه "كتاب الجبال والأمكنة"، وفي أدب الترجمة ألف "متشابه أسماء الرواة" وكتاب "شقائق النعمان في حقائق النعمان" في مناقب الإمام أبي حنيفة.

وله كتب عديدة في الأدب،ومن أهمها: نوابغ الكلم، وأطواق الذهب، والنصائح الصغار والبوالغ الكبار، ومقامات الزمخشري، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار.

ومن كتبه في النحو: المفصل، والأنموذج، وشرح أبيات كتاب سيبويه، مقدمة الأدب، ونكت الأعراب في غريب الإعراب "في غريب إعراب القرآن" غير معروف.

وكتب في اللغة: أساس البلاغة، وصميم العربية، وجواهر اللغة، وأعجب العجب في شرح لامية العرب، والمستقصى في أمثال العرب.

على أي حال، فإن للزمخشري تآليف كثيرة حيث لم يذكر جميعَها أصحابُ التراجم [8].

يقول الدكتور مصطفى الصاوي "وهذه المؤلفات إن دلت على شيء فعلى أن حياة الزمخشري العلمية كانت حياة خصبة مليئة حيوية وإنتاجاً"، وهذه نبذة يسيرة عن تنويع مؤلفاته وتكييف تآليفه، تدل بنا على أن الزمخشري كان له باع طويل في اللغة والأدب وله إنتاج غزير في العلوم والفنون [9].

مكانته البلاغية

لم تقف جهود العلامة الزمخشري في البلاغة عند تطبيق القواعد البلاغية التى قررها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، بل أضاف إليها أصولا لم يتعرض لها عبد القاهر، بالإضافة إلى أنه وضح كثيراً من القواعد البلاغية التى قررها عبد القاهر.

وتطبيق القواعد البلاغية في هذه الصورة التي فعلها العلامة الزمخشري في تفسيره "الكشاف" ليس بالأمر الهين، فليس التطبيق في المسائل النحوية مثل التطبيق في المسائل البلاغية، ذلك لأنه يسهل على النحوي أن يحلل أو يعرب بعضاً من النصوص، أما المسائل البلاغية فيصعب على البلاغي تطبيقها على النصوص الأدبية[10].

ويرى الدكتور محمد أبو موسى أن تطبيقات العلامة الزمخشري في تفسيره تعتبر من إضافاته ما دام يضفي عليها من حسه وذوقه، ويقول أيضاً: "وإذا كان الزمخشري قد طبق كثيراً مما قرره عبد القاهر فقد أضاف أصولاً بلاغية لم يعرض لهاعبد القاهر ونمى كثيراً من الأصول السابقة، وحرر كثيراً من المسائل"[11].

ثم أشار ابن خلدون إلى دور العلامة الزمخشري الذي اضطلع به في تفسيره "الكشاف" في هذا المجال قائلا: "وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير" [12].

قيمة الكشاف العلمية

الكشاف موسوعة في التفسير، حافلة بموضوعات كثيرة في الاعتزال، واللغة، والنحو، والفقه، والقراءات، وما يتصل بها من تعليل، وتدليل، وتمحيص.قام الكشاف بإحاطة علوم البلاغة؛ "المعاني، والبيان، والبديع"، وكذلك الإعراب وغيره من صنوف

الأدبولقد أضفي هذا النبوغ العلمي والأدبي عليه ثوبا جميلا حتى التفتت إليه أنظار العلماء فأخذوا يَدْرُسُوْنَه ويُدَرِّسُوْنَه.

يمتاز الكشاف بأمور منها

1- خلوه من الحشو والتطويل.

2- سلامته من القصص والإسرائيليات.

3- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم.

4- سلوكه فيما يقصد إيضاحه من المسائل البلاغية والنحوية واللغوية طريقة "السؤال والجواب"، هذا الأسلوب وإن اختاره الآخرون من المفسرين نحو الطبري، وقاضي عبدالجبار وغيرهما إلا أنهم لم يستعملوه في سياق تناول مسائل البلاغية والبيان عند تفسير الآي القرانية، أما العلامة الزمخشري فقد ركز عليه، واعتنى به اعتناء بالغا حين تعرضه لمواطن بلاغة القرآن الكريم. وهذا مما زاد من قيمة تفسير "الكشاف" فجعل النفوس تميل إلى تفسيره، والطباع ترغب في قراءته وتناوله. ولهذا نجد حتى الأئمة الذين تكلموا عن الإمام الزمخشري وعن تفسيره من الناحية الاعتزالية قد أثنوا عليه من الناحية الأدبية والبلاغية والنحوية.

وفاته

وبعد جواره الثانى عاوده الحنين إلى بلده، وفي طريقه إليه مر ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وقرأ بعض كتب اللغة على أبي منصور الجواليقي، وعندما بلغ وطنه وافته منيته بجرجانية وهي قرية من قرى خوارزم سنة 538هـ – رحمه الله – بعد حياة حافلة بالعلم والجهد [13].

قد ينفعل الأديب بفكرة، قد يمتلئ نفسه بمعنى، وقد يعجب بموقف يملك عليه أحاسيسه ومشاعره، فيلحّ عليه أن ينقله إلى الناس، ليتملوه بعقولهم، ويعايشوه بخواطرهم، حتى يكون لهم مصدر إسعاد وإبناس، وباعث همة وارتقاء.وقد تتراءى للأديب اللماح: صورة متعددة، وألوان متنوعة، تقى بغرضه، توصل إلى المخاطبين والمتلقين مقصده وأربه،

فالمعنى المذخور المطوى واحد، لكنه –حين يبرز– يرتدى ألبسته شتى، ويخال في خلل متباينة، كل منها تسطع تألقاً وبهجة.

والعلم الذي يأخذ بيد الأديب، ويعرفه كيف يصوغ المعنى الواحد، وفي صور تعبيرية، ومظاهر أسلوبه متعددة، تختلف في وضوح الدلالة عليه، هذا العلم هو ما نطلق عليه "علم البيان" ولا يتأتى للأديب أن يسوق المعنى الواحد في صور متنوعة من الأساليب، حتى تكون لديه ملكة –هو متمهر فيها– بها يبدع وينوع، وينشئ ويفترع، وإذا بلغ إنسان هذا المبلغ، وصفناه بأنه مبين، أو عالم بالبيان، ونحن عندما ندرس هذه الطرق التي تمكننا من تنويع التعبير، نقول: إننا ندرس: "علم البيان".

فهذا العلم هو قواعد وأصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في دلالتها، ومتى عرفنا هذه الطرق، والمقبول منها والمردود، أمكننا أن نعبر عن معانينا بصور واضحة جميلة، لا تعقيد فيها ولا التواء.

وقد تتبع العلماء الطرق التي يستخدمها الأدباء في صياغة آثارهم الأدبية الرائعة، فوجودها ثلاثة التشبيه، والمجاز، والكناية، فمن الممكن أن نقول: "علم البيان يبحث في التشبيه والمجاز والكناية" وهذا ما ينبغي أن نعرّف به علم البيان، فهو علم يتناول هذه الفنون الجميلة، أعني: "التشبيه والمجاز والكناية"، مجلياً أسرارها، كاشفاً عن مواطن الجمال فيها، عارضاً لأساليبها الرفيعة، عند ما تنطلق متوهجة في سماحة دون تكلف، وفطرية دون تعسف.

وهذا هو العلم الذي اعتنى به الإمام عبد القاهر الجرجاني اعتناء بالغاً في كتابه "أسرار البلاغة"، وطبقه بجميع أبوابه العلامة الزمخشري في تفسير الكشاف ضمن تحليل الآيات القرآنية تطبيقا تاماً.

وأضاف إليه بعض القضايا التي لم يتناولها الإمام عبد القاهر الجرجاني.ألقي الضوء في هذا المقال على إضافات أو ابتكارات العلامة الزمخشري في علم البيان بدأ بالمجاز، وهذا هو الباب الذي نال من أبواب علم البيان زُلفةً وحسن مآب عند البلاغيين،

إنه يجري في الإسناد كما يجري في الكلمة، إن كان المجاز في الإسناد سمي بالمجاز العقلي، وسماه الإمام عبد القاهر الجرجاني بالمجاز الحكمي، واعتدَّ العلامة الزمخشري من أوائل المتأخرين بالمجاز العقلي، وبلوره في تفسير آية من سورة البقرة:

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [14]

قائلا: "فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله –تعالى–، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح، والله يتعالى عن فعل القبيح علوًّا كبيراً؛ لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه، وقد نص على تنزيه ذاته بقوله:

وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [15]،وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ [16]،إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ [17]

ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟" [18]. أجاب الزمخشري عن هذا السؤال المفترض بعدة وجوه، وكان من عِدادهم ما يقول: "ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله، فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة: تفسير هذا أنّ للفعل ملابسات شتى:يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان، والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمَّى استعارةً، وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته، فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية[19] وماء دافق، وفي عكسه: سيل مفعم[20]، وفي المصدر: شِعْرٌ شاعر، وذيل ذائل، وفي الزمان: نهاره صائم وليله قائم، وفي المكان طريق سائر ونهر جار[21]، وأهل مكة يقولون: صلى المقام، وفي المسبب: بنى الأمير المدينة، وناقة ضبوث[22] وحلوب.

وقال:

إذا ردَّ عافي القدر من يستعيرها[23]

فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة، أو الكافر إلا أن الله –سبحانه– لما كان هو الذي أقدره، ومكّنه أسند إليه الختم، كما يُسند الفعل إلى المسبب" [24].

وبذلك شرع البلاغيون يحسبون العلامة الزمخشري أول من ضَمَّنَ تفسيرَه مجازات عقلية، وأمضى مُلِمّا بكل أطرافها وملابساتها حتى ما جاء من الشواهد تحت قاعدة لم يزدها الآخرون من قِبَلِهِمْ بشيء بل إنهم حذوا حذوه في ذلك.

قد يعلل العلامة الزمخشريُّ المجازَ العقليَّ بقرينة الحال الدالة عليه كما يقول في تفسير قوله – تعالى–:

فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ (25)

"فإن قلت: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازي، وهو أن يسند الفعل إلى شيءٍ يتلبَّس بالذي هو في الحقيقة له، كما تلبَّست التجارة بالمشترين؛ فإن قلت: هل يصح ربح عبدُك وخسرت تجارتُك على الإسناد المجازي؟قلت: نعم إذا دلت الحال، وكذلك الشرط في صحة رأيت أسداً، وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح" (26).

كما أنه يعلِّق على إضافة كلمة "ذكر" إلى "ربه" في (ذِكْرَ رَبِّهِ) في آية من سورة يوسف، قوله تعالى:

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (27)

يقول: "فإن قلت: ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك، وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول؟، قلت: قد لابسه في قولك: فأنساه الشيطان ذكره لربه، أو عند ربه، فجازت إضافته إليه؛ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة، أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه، فحذف المضاف الذي هو الإخبار" (28).

صار العلامة الزمخشري بهذا التحليل الدقيق في باب المجازات العقلية الواردة في القرآن الكريم مرجعا أصيلا للمتأخرين، ولاسيما من احتذوه في تفسير معنى المجاز العقلي، إنه جعله مقصورا على الإسناد المعين، أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فإنه وَسَّعَ المجازَ العقليَّ وذكر له صورا متعددة وألوانا مختلفة، ويمكن مراجعتها في كتابه؛ أسرار البلاغة.

ينقسم المجاز إلى قسمين أساسيين؛ إن كانت العلاقة في الكلمة أو الكلام علاقة غير المشابهة يسمى المجاز بالمرسل، وإن كانت العلاقة في الكلمة أو الكلام علاقة المشابهة يسمى المجاز بالاستعارة وغيرها. لم يذكر العلامة الزمخشري مصطلح المجاز المرسل إلا أنه صرح بعلاقات المجاز المرسل نحو السببية، والجزئية، والكلية، والمحلية، والحالية وهلم جرا، في تضاعيف تفسيره

حسبما تقتضى الحال مع الإشارة إلى مجيء المجاز المرسل واختياره، مثلا يقول في تفسير آية من سورة البقرة:

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ [29]

"فإن قلت: رأس الأصبع هو الذي يُجعل في الأذن فهلا قيل: أناملهم؟ قلت: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصُرها؛ كقوله:

فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ [30]فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا [31]

أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ، وأيضاً ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل"[32].

كل ذلك مدرج في المجاز المرسل والعلة في اختياره في الكلمات الواردة؛ أصابعهم، أيديكم، أيديهما... في الآيات السابقة للمبالغة.

ابتكر العلامة الزمخشري – أيضا – علاقة المجاز المرسل المسماة "باعتبار ما كان"، وشرحها في تفسير قوله تعالى:

وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا [33]

قائلا: "فإن قلت: فما معنى قوله:

وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ

؟ قلت: إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء، وولاة السوء وقضاتُه، ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفةٍ، وإما أن يراد الكبار تسميةً لهم يتامى على القياس، أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عُشَرَاءَ بعد وضعها؛ على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخِّر دفع أموالهم إليهم عن حدِّ البلوغ، ولا يُمطَلوا إن أُونس منهم الرشد، وأن يؤتَوْها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار" [34].

وكذلك أبدع علاقة المجاز المرسل المسماة بـ "المسببية" عند تعليقه على إحدى آيات من سورة المائدة في قوله –تعالى–:

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [35]

يقول: "فإن قلت: لم جاز أن يعبِّر عن إرادة الفعل بالفعل؟، قلت: لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له، وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه؛ فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر، أي يقدران على الطيران والإبصار، ومنه قوله –تعالى–:

نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [36]

يعني: إنّا كنّا قادرين على الإعادة، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبب مقام السبب، للملابسة بينهما، ولإيجاز الكلام. ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم: (كما تدين تدان)، إن عبّر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه"[37].

إنه ابتكر علاقة المجاز المرسل المسماة "باعتبار ما يؤول إليه" في تفسير قوله –تعالى–:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا [38]

وكذلك في تفسير قوله –تعالى–:

إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا [39]

إلا أنه لم يشر على طبيعة أسلوبه المعروف بـ أسلوب السؤال والجواب عند شرح هذه العلاقة في تفسيره؛ الكشاف.

المجاز القائم على علاقة المشابهة يسمى بالاستعارة، فالعلامة الزمخشري هو أول من سمى الاستعارة بالترشيحية إذا ذُكِرَ فيها ملائمُ المشبه به، أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فسماها بتناسي التشبيه، فالمسمى وإن اختُلِفَ فيه ولكن المعنى واحد، يقول العلامة الزمخشري في تفسير آية من سورة البقرة:

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ [40]

"فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة؟ قلت: هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة، وأكثر ماءً ورونقاً، وهو المجاز المرشح، وذلك نحو قول العرب في البليد، كأن أذنيّ قلبه خطلاوان[41] وجعلوه كالحمار، ثم رشَّحوا ذلك روماً لتحقيق البلادة، فادَّعوا لقلبه أذنين، وادّعوا لهما الخطل، ليمثلوا البلادة تمثيلاً يُلحِقُها ببلادة الحمار مشاهدةً معاينةً، ونحوه:

ولما رأيتُ النَّسر عزَّ بن دأيةٍ وعشّش في وكريه جاش لهصدري[42]

لما شبّه الشيب بالنَّسر، والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكرِ، ونحوه قول بعض فُتَّاكهم في أمِّه:

فما أمُّ الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصَّع في قفاها تنَّفقناه بالحبل التّؤام[43]

أي: إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه (جحره) بالجبل المثنّ المحكم. يريد إذا مردت وأسأت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها. استعار التقصيع أولاً ثم ضمّ إليه التنفُّق، ثم الحبل التُّؤام، فكذلك لما ذكر – سبحانه– الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه، وما يكمل ويتم بانضمامه إليه، تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته" [44].

فالمتقدمون وإن مارسوا المجاز المرشح فكرة ووظيفة في الكلام العربي حتى ذكره الإمام عبد القاهر الجرجاني تحت مسمى تناسي التشبيه إلا أن الفضل في تسميته بالمرشح أو المرشحة أو الترشيحية يعود إلى العلامة الزمخشري، يقول صاحب (المجاز في البلاغة العربية): "الاستعارة الترشيحية: إن هذه التسمية من وضع الزمخشري وهي أن تعقِّب على الاستعارة بصفات أو تفريع كلامٍ ملائمٍ للمستعار منه" [45]، ومن ثم نالت التسمية على دعاية كبيرة بين أوساط البلاغة فعُرِفَ المجازُ الذي تكون فيه العلاقة غير المشابهة بالتشريحية عند المتأخرين جميعهم.

لم يكتف العلامة الزمخشري بالاستعارة الترشيحية بل تناول الجانب الآخر منها وهو أن يُذْكَرَ في الاستعارة ملائمُ المشبه، ولكنه ما سماه بشيء، والإمام فخر الدين الرازي هو أول من سماها بالاستعارة التجريدية.

يقول العلامة الزمخشري في تفسير آية من سورة النحل :

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ [46]

شارحا الاستعارة التجريدية الواقعة فيها: "فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه ؟. قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمسَّ الناس منها، فيقولون ذاق فلان البؤس. والضُّر، وأذاقه العذابَ، شُبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرِّ البَشِع، وأما اللباس فقد شبه به . لاشتماله على اللابس . ما غَشِي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف؛ فلأنه لما وقع عبارةً عما يغشى منهما ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع

والخوف. ولهم في نحو هذا طريقان لابد من الإحاطة بهما؛ فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما، أحدهما أن ينظر فيه إلى المستعار له كما نُظر إليه ههنا. ونحوه قول كثيّر:

غَمرُ الرِّداء إذا تبسم ضاحكاً غَلِقت لضحكته رِقابُ المالِ

استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفةُ الرداء نظراً إلى المستعارِ له.

والثاني أن ينظر فيه إلى المستعار كقوله:

يُنازعني ردائي عبدُ عمرو رويدك يا أخا عُمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر، فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف، ولقال كُثيّر ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً"[47].

لم يتبين العلامة الزمخشري الاستعارة في الأسماء والأفعال فحسب بل تعرض لها في الحروف أيضا، ووقف عندها طويلا، يقول في تفسير آية من سورة البقرة:

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [48]

"فإن قلت: فلعل التي في الآية ما معناها؟ وما موقعها؟ قلت: ليست مما ذكرناه في شيء؛ لأن قوله:

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

لا يجوز أن يُحمل على رجاء الله تقواهم؛ لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديدأيضاً، ولكن "لعل" واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة؛ لأن الله –عز وجل–خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركّب فيهم العقول والشهواتِ، وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم، وهداهم النجدين، ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى؛ فهم في صورة المرجو منهم أن يتّقوا ليترجّح أمرهم، وهم مختارون بين الطاعة والعصيان،كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وألا يفعل، ومصداقه قوله –عزوجل–

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [49]

وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب، ولكن شُبِّه بالاختيار بناء أمرهم على الاختيار" [50].

فالزمخشري أول من ذكر هذه الاستعارة وقد سميت بالتبعية عند المتأخرين.

إنهأوحى بالاستعارة نفسها في تفسير آية من سورة آل عمران:

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ [51]

قائلا: "فإن قلت: كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله –تعالى– في إملائه لهم؟ قلت: هو علة للإملاء، وما كلُّ علة بغرضٍ، ألا تراك تقول: قعدتُ عن الغزو للعجز والفاقة، وخرجت من البلاد لمخافة الشر، وليس شيء منها بغرضٍ لك، وإنما هي علل وأسباب، فكذلك إزدياد الإثم جُعل علةًللإمهال و سببا فيه" [52].

وكذلك جاء لأول مرة بالاستعارة بالكناية بكل وضوح في تفسير آية من سورة البقرة:

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [53]

يقول: "فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوُصلة بين المتعاهدين، ومنه قول ابن التَّيهان[54] في بيعة العقبة: "يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حِبالاً، ونحن قاطعوها، فنخشى – إن الله عز وجل أعزك وأظهرك – أن ترجع إلى قومك، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها: أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوُه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها، لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر، وعلى المرأة بأنها فراش"[55].

وضع العلامة الزمخشري من خلال تحليل الآية الكريمة أصول الاستعارة بالكناية وهي: أن يحذف لفظ المشبه به مع ذكر شيء من لوازمه، إنه لم يرسل تسمية الاستعارة بالكناية إلا أنه طبقها على وجه أبلغ وأدق، فالعهد هو المشبه كما ذُكِرَ، والمشبه به هو الحبل، وقد حُذِفَ ذلك، وذُكِرَ ما يرمُزُ إليه وهو النقض أي: نقض العهد، والمعنى الذي يحدث من ذكر المشبه وحذف المشبه به مع ذكر شيء من ملابساته ولوازمه يسمى بالمعنى الكنائي وبعبارة البلاغيين الاستعارة بالكناية. وهذا ما ذهب إليه فخر الدين الرازي فأخذ الاستعارة بالكناية بالمعايير التي بنى عليها العلامة الزمخشري تفسير الآية الكريمة.

كذلك أشار العلامة الزمخشري إلى الاستعارة التمثيلية في أبعاض الآي القرآنية بكل بسط وتفصيل بينما لم يتناولها الإمام عبد القاهر الجرجاني على هذا الوجه المألوف، أثبت العلامة الزمخشري الاستعارة التمثيلية على وجه دقيق في تحليل آية من سورة الإسراء، فخالفه المفسرون المتأخرون جميعهم ما عدا ابن المنير الإسكندري، يقول العلامة الزمخشري في تفسير قوله –تعالى–:

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (56)

(أمرناهم ففسقوا) أي أمرناهم بالفسق، ففعلوا، والأمر مجاز؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون، فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه صبّ عليهم النعمة صبّاً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات؛ فكأنهم مأمورون بذلك، لتسبب إيلاء النعمة فيه، وإنما خوّلهم إياها ليشكروا، ويعملوا الخير، ويتمكنوا من الإحسان والبرّ، كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول، وهو كلمة العذاب، فدَّمرهم. فإن قلت: هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا؟، قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه، وذلك أن المأمور به إنما حُذف؛ لأن فسقوا يدل عليه، وهو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام، وأمرته فقرأ. لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة، ولو ذهبت تقدّر غيره فقد رُمت من مخاطبك علمَ الغيب، ولا يلزم على هذا قولُهم: أمرته فعصاني، أو فلم يمتثل أمري؛ لأن ذلك مناف للأمر مناقض له، ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به، فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به، فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه، ولا منوي؛ لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمرِهِ مأموراً به، وكأنه يقول: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة،كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع، و يأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول" (57).

فرض العلامة الزمخشري سؤالا آخر بعد انتهائه من السؤال المذكور ليلقي ضوءا كافيا على المسألة نفسها، وقد بسطت كلا السؤالين في باب الذكر والحذف من رسالتي لأسئلة الزمخشري وأجوبتها من الكشاف دراسة بلاغية تحليليةمع دراسة آراء الآخرين من المتقدمين والمتأخرين لتتضح المسألة على وجه أَتَمَّ.

فالآية السابقة تحتوي استعارة تمثيلية عند العلامة الزمخشري حيث شبه إيلاء النعمة والترف والخصبة والنماء والمعاش والسكون والرخاء والبسط والفرح والسرور والبهاء والبهجة المؤدية إلى الفسق والمعصية والتآمر والاستكبار والغرور بالمأمور الذي فرض عليه أمر الآمر المطاع، فامتثل وأطاع وآمن وصدق من غير توقُّفٍ وتأنٍّ وتمكُّثٍ، ثم أخرج مخرج الاستعارة من أجل حذف المشبه، والجامع بينهما هو ترتب الثاني على الأول بلفظ الأمر. وكذلك حلل العلامة الزمخشري الاستعارة التمثيلية الواردة في الآية من سورة الأحزاب:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (58)

ومن ابتكارات الزمخشري في باب الكناية هو التفريق بين المصطلحين؛ الكناية والتعريض رغم ترادفهما عند الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث لم يفرق بينهما أصلا بل إنه اعتدَّهما كلمتين مترادفتين، يقول الإمام في دلائل الإعجاز: "ومما هو إثبات للصفة على طريق الكناية والتعريض، قولهم: (المجد بين ثوبيه، والكرم في برديه)، وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح، بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه" (59).

فالجمع بين المصطلحين؛ الكناية والتعريض رغم الفوارق الغامضة بين وظيفتيهما قد يُعَدُّ من مآخذ الكتاب؛ دلائل الإعجاز أو من قبيل الإغفال عند صاحبه، لأن التعريض أشد خفاء من الكناية وأكثر دقة منها، لأن التعريض يعتمد في ذاته على السياق المقامي البحت، أما الكناية فيستمد حضور المعنى من خلال السياق المقالي أيضا، فالتعريض أكثر غموضا ودقة فيتطلب أكثر ذكاء وممارسة ودربة من المتكلم ليصيب، ومن السامع ليفهم ويعي، وكذلك يُعَدُّ أكثر أثرا في النفوس من أخواته؛ الكناية وأنواعها والمجاز وأنواعه، يعين التعريض صاحبه على إخفاء مقاصده من العتاب أو النقد أو الاستفسار والسؤال أو الشكوى والاقتراح وغيرها حتى لا يفهمه إلا من يُعَرَّضُ به.

فالكناية شيء والتعريض شيء آخر، فلا ينبغي أن يقاس بعضهما على بعض آخر لملابسة خفيفة بينهما، ولا يمكن أن يذكر التعريض وينوى به الكناية أو العكس بأن يؤتى بالكناية ويقصد بها التعريض، لا يحل أحدهما محل الآخر للاختلاف الرئيسي بين أغراضهما، وأساليبهما، ومقاصدهما، ومطالبهما.

ولذلك يعود الفضل في الباب إلى العلامة الزمخشري حيث إنه أول من قام بالتفريق بين المصطلحين، ووضحهما على وجه أعمق. يقول في آية من سورة البقرة:

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا. (60)

التعريض هو أن يقول لها: إنك لجميلة: أو صالحة، أو نافقة، ومن غرضي أن أتزوّج، وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة، ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها، حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرح بالنكاح.

ثم يقول: "فإن قلت: أيُّ فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له؛ كقولك: طويل النجاد والحمائل لطويل القامة، وكثير الرَّماد للمضياف،

والتعريض: أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه:جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم؛ ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقاضيا[61]، وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض، ويسمّى التلويح؛ لأنه يلوح ما يريده" [62].

اعتمد السكاكي في التمييز بين المصطلحين؛ الكناية والتعريض على مذهب العلامة الزمخشري في تفسيره الكشاف، فأخذها دون إضافة وزيادة. جاء الزمخشري بجميع أنواع الكناية، وهي: الكناية عن الموصوف، والصفة وغيرهما في تفسيره.

إنه أول من ذكر "المجاز عن الكناية" في بعض الآيات التي لا يمكن أن تُحْمَلَ على ذات الله – سبحانه وتعالى– حسب معانيها الحقيقية طبقالعقيدته الاعتزالية، كقوله –تعالى–:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ [63]

وقوله –تعالى–:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [64]

وكذلك آية من سورة آل عمران، قال –تعالى–:

وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [65]

لأن من شروط الكناية أن تحتمل المعنى الحقيقي، يقول الزمخشري في تحليل آية من سورة آل عمران:

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [66]

(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ)

مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم. تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفى اعتداده به وإحسانه إليه، فإن قلت: أيُّ فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية؛ لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه، وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان، وإن لم يكن ثَمَّ نظرٌ، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان، مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر" [67].

وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد محمد أبو موسى فقال: "وقد ذكر المجاز عن الكناية، وعنى به صورة الكناية التي يستحيل فيها إرادة المعنى الحقيقي للتركيب المكني به، إذ أنه يرى أن شرط الكناية صحة جواز المعنى الحقيقي للتركيب، وأن هذا هو مناط الفرق بينها وبين المجاز"[68].

نتائج البحث

من خلال هذا البحث وصلت إلى نتائج من أهمها:

1. علم البيان هو العلم الذي بسببه توصل المتكلم إلى المخاطبين والمتلقين مقصده وأربه بأساليب متعددة ومتنوعة، فالمعنى المذخور المطوى واحد، ولكنه –حين يبرز– يرتدي ألبسة شتى، ويخال في خلل متباينة، كل منها تسطع تألقاً وبهجةً .

2. المجاز نال من أبواب علم البيان زلفةً وحسن مآب عند البلاغيين، إنه يجري في الإسناد كما يجري في الكلمة، فلو كان في الإسناد يقال له المجاز العقلي، وهذا ما سمّاه الإمام عبدالقاهر الجرجاني بالمجاز الحكمي.

3. العلامة الزمخشري أول من ابتكر في باب المجاز المرسل علاقة باعتبار ما كان، وباعتبار ما يكون، والمسببية، وطبقها في تحليل الآيات القرآنية في تفسيره الكشاف.

4. العلامة الزمخشري أول من أضاف إلى أنواع الاستعارة "الاستعارة الترشيحية" إذا ذكر فيها ملائم المشبه به، وهذا ما سمّاها الإمام عبد القاهر الجرجاني بتناسي التشبيه.

5. العلامة الزمخشري تناول في تحليل الآيات القرآنية عكس الاستعارة الترشيحية، ولكنه لم يسمها، وأول من سماها بالاستعارة التجريدية الإمام فخر الدين الرازي.

6. العلامة الزمخشري أول من عالج الاستعارة بالكناية، والتمثيلية بكل بسط وتفصيل بتحديدهما المعروف المتأخرين من البلاغيين.

7. التعريض والكناية كلمتان مترادفتان عند الإمام عبدالقاهر الجرجاني، والعلامة الزمخشري أول من فرّق بينهما فرقاً دقيقاً، وفرض سؤالاً للوضوح التام، وطبقه في تحليل الآية القرآنية من سورة البقرة.

8. العلامة الزمخشري ابتكر مصطلح "المجاز عن الكناية" لتحليل الآيات التي لا تُحمل على ذات الله –سبحانه وتعالى– حسب معانيها الحقيقية لأجل عقيدته الاعتزالية.

الحواشي والهوامش

1– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الطبعة الأولى، عام1968م، دار صادر، بيروت–لبنان، ج 5، ص169. وانظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، ص23.

2– منهج الزمخشرى في تفسير القرآن، مصطفى الصاوى الجوينى، الطبعة الثالثة، (ب.ت)، دار المعارف، القاهرة –مصر، ص26.

3- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدينالسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عام 1384هـ/1964م، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان،ص284. ومعجم الأدباء، ج5، ص489، ومنهج الزمخشرى في تفسير القرآن، ص 36،

4- معجم الأدباء، ج5، ص489.

5- منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ص49.

6- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، الطبعة الأولى، عام1411هـ/1991م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج5، ص489.

7- وفيات الأعيان، ج5، ص 168.

8- الزمخشري، الدكتور أحمد محمد الحوفي، الطبعة الثانية، (ب. ت) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ص 60 – 63.

9- منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ص51.

10- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية،والدكتور محمد محمد أبي موسى، الطبعة الثانية، عام1408هـ/1988م، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر،، ص36-37.

11- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، ص36.

12- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، فصل "علم البيان"، (ب. ت. ط) دار ابن خلدون، القاهرة – مصر، ص408.

13- منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ص42.

14- سورة البقرة، الآية: 7.

15- سورة ق، الآية: 29.

16- سورة الزخرف، الآية: 76.

17- سورة الأعراف، الآية: 28.

18- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، شرح وضبط: يوسف الحمادي، الطبعة الأولى، (ب.ت)، مكتبة مصر، القاهرة- مصر، ج 1، ص 162.

19- عيشة راضية: مرضية، ولكنها جعلت راضية، كأن الرضا امتد إليها فاتصفت به.

20- سيل مفعم: المفعم المملوء، والسيل يملأ الوادي، ولكنه صار بالمجازمملوءا، كأنما ملئ كلَّ شيء، حتى السيل نفسه.

21- نهرجار: النهرما يجرى به الماء، أي مكان جريانه، وأسند الفعل إليه.

22- ناقة ضبوث: حيث المعنى الحقيقي أنها تُضبثُ أي تجسُّ ليستبين حملها، ولكنه جعلها هي التي تجس نفسها لحاجتها إلى ذلك.

23- هذا هو الشطر الثاني من البيت وشطره الأول: (فلا تسأليني واسألي عن خليقتي). والمعنى: اسألي عني زمن الجدب والقحط، وحين يتسبب عافي القدر، وهو ما اعتاد الناس رده فيها فيمنع استعادتها لعدم وجود شيء تردُّ به.

24- الكشاف، ج 1، ص 51.

25- سورة البقرة، الآية: 16.

26- الكشاف، ج 1، ص 69- 68.

27- سورة يوسف، الآية: 42.

28- الكشاف، ج 2، ص 469.

29- سورة البقرة، الآية: 19.
30- سورة المائدة، الآية: 6.
31- سورة المائدة، الآية: 38.
32- الكشاف، ج 1، ص 80.
33- سورة النساء، الآية: 2.
34- الكشاف، ج 1، ص 407.
35- سورة المائدة، الآية: 6.
36- سورة الأنبياء، الآية: 104.
37- الكشاف، ج 2، ص 10.
38- سورة النساء، الآية: 10.
39- سورة يوسف، الآية: 36.
40- سورة البقرة، الآية: 16.
41- خطلاوان: مثنى خطلاء، والأذن الخطلاء هي المتدلية كأذن الحمار.
42- أراد الشاعر بالنسر الشيب، وبابن دأبةَ وهو الغراب الشعر الأسود، وفي البيت يذكر أن النسر الذي عُبر به عن الشيب يطرد الغراب الذي كان يشبه به الشعر الأسود، وقد رأى الشاعر ذلك فارتجف واضطرب، والشاهد في البيتما فيهمن ترشيح للاستعارة بالتعشيش بذكر الوكرين.
43- يضيق الشاعر بما يلقي من إدلال أم الردتين عليه، ويذكر أن مثل ذلك ليسمن كرم الأخلاق، ويمضي فيذكر أنها إذاما أسرفت فيما يسوء من خلقها، وإذاما سكن الشيطان قفاها، وقصع فيه قاومه فانتزعه بحبلمتين، وقصع اليربوع دخل في حجره، وتنفقناه أخرجتاهمن نافقائه أي بيته، والحبل التؤام القوي المحكم الفتل، وفي الاستعارة ما يصور تمكن الخلق منها بتمكن الشيطان من عفلها، ثم يرشح لهذه الاستعارة بالتقصيع، والتنفق، والحبل التؤام.
44- الكشاف، ج 1، ص 69.
45- المجاز في البلاغة العربية،الدكتور صالح السامرائي، الطبعة الأولى، عام 1431هـ/2013م،دار ابن كثير ، بيروت- لبنان، ص 113.
46- سورة النحل، الآية: 112.
47- الكشاف، ج 2، ص 607.
48- سورة البقرة، الآية: 21.
49- سورة الملك، الآية: 2.
50- الكشاف، ج 1، ص 78.
51- سورة آل عمران، الآية: 178.
52- الكشاف، ج 1، ص 391.
53- سورة البقرة، الآية: 27.
54- ابن التيهان: هو أبو الهيثم بن التيهان أحد زعماء الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية وأحد صحابته الخلصاء له.
55- الكشاف، ج 1، ص 113.
56- سورة الإسراء، الآية: 16.
57- الكشاف، ج 3، ص 8.
58- سورة الأحزاب، الآية: 72.

59- دلائل الإعجاز، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، عام 1413هـ/ 1992م، مطبعة المدني، القاهرة–مصر،ص 309–310.

60- سورة البقرة، الآية: 235.

61- شطر بيت من الشعر، لم يصرح فيه الشاعر بما يطلب من ممدوحه، واكتفى بالتسليم عليه، وأناب هذا التسليم عما يرجو منه، ويتطلع إليه من كرمه، والشاهد فيه ما به من تعريض.

62- الكشاف، ج 1، ص 255–256.

63- سورة المائدة، الآية: 64.

64- سورة طه، الآية: 5.

65- سورة آل عمران، الآية: 77.

66- سورة آل عمران، الآية: 77.

67- الكشاف، ج 1، ص 332.

68- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، عام 1408هـ/1988م، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ص 55.